

القصص

يقلم: ١. عبد الحفيد عبد المقصود
 رسوم: ١. إسماعيل دياب
 إشراف: ١. حمدي مصطفى



كَانَ الْأَحْدَبُ الْمَقْتُولُ هُوَ مُهَرَّجُ الْمَلِكِ وَمُضْحِكُهُ ، وَكَانَ الْمَلِكُ
يَأْنَسُ بِهِ ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَغِيبَ الْأَحْدَبُ عَنْ مَجْلِسِهِ لَيْلَةً ، لَمْ
يُشِيعْهُ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ فِي نَفْسِهِ ..

فَلَمَّا تَغَيَّبَ الْأَحْدَبُ عَنْ مَجْلِسِ الْمَلِكِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ افْتَقَدَهُ ، لَكِنَّهُ
لَمْ يَتَصَوَّرْ أَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ لَهُ مَكْرُوهٌ ، فَلَمَّا
انْقَضَى مُعْظَمُ النَّهَارِ التَّالِي ، وَلَمْ يَحْضُرِ الْأَحْدَبُ إِلَى الْقَصْرِ ،
قَلِقَ الْمَلِكُ بِشَأْنِهِ ، وَسَأَلَ عَنْهُ ، فَعَلِمَ مِنْ بَعْضِ حُرَّاسِ قَصْرِهِ أَنَّ
الْأَحْدَبَ قَدْ قُتِلَ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ ، وَأَنَّ رَئِيسَ الشَّرْطَةِ ، كُلَّمَا
حَاوَلَ شَلْقَ قَاتِلِهِ ظَهَرَ شَخْصٌ آخَرٌ وَادَّعَى أَنَّهُ هُوَ قَاتِلُهُ ، وَهَكَذَا
حَتَّى صَارَ مَنْ يَدْعُونَ قَتْلَ الْأَحْدَبِ أَرْبَعَةَ أَشْخَاصٍ ..

وَلِذَلِكَ أَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى رَئِيسِ الشَّرْطَةِ أَنْ يُحْضِرَ إِلَيْهِ جُثَّةَ
الْأَحْدَبِ وَقَاتِلِيهِ الْأَرْبَعَةِ .

وَهَكَذَا نَفَّذَ رَئِيسُ الشَّرْطَةِ أَمْرَ الْمَلِكِ ، فَأَمَرَ بِحَمْلِ جُثَّةِ الْأَحْدَبِ ،
وَأَخَذَ الْقَتْلَةَ الْأَرْبَعَةَ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، انْحَنَى
الْجَمِيعُ اخْتِرَامًا لَهُ ، وَحَكَى لَهُ رَئِيسُ الشَّرْطَةِ مَا حَدَثَ ،



فتعجب الملك وقال :

.. ما رأيت ولا سمعت بأعجب من هذه الحكاية ..

ومن حكى لى حكاية اعجب وأغرب منها أطلقت سراحه .. وإلا أمرتُ

بقتلِكُم جميعًا قِصاصًا لمُضحِكى الذى قتلنُموه ..

فتقدم التاجر وقال :

.. إذا أدبت لى يا ملك الزمان ، حدثتُك بحكاية وقعت لى

هِيَ أَعْجَبُ وَأَعْرَبُ مِنْ حِكَايَةِ مَوْتِ مُهْرَجِكَ الْأَحْدَبِ ..

فَقَالَ الْمَلِكُ :

.. قَدْ أَذِنْتُ لَكَ ، فَمَا هِيَ هَذِهِ الْحِكَايَةُ ؟

فَبَدَأَ التَّاجِرُ يَحْكِي حِكَايَتَهُ قَائِلًا :

.. لَقَدْ كَانَ وَالِدِي مِنْ مِصْرَ وَكَانَ يَعْمَلُ سِمَسَّارًا فِي التَّجَارَةِ ،

فَلَمَّا تَوَفَّى وَرِثْتُ عَنْهُ دُكَّانَهُ وَتِجَارَتَهُ .. وَذَاتَ يَوْمٍ كُنْتُ جَالِسًا

فِي دُكَّانِي ، فَجَاءَنِي شَابٌّ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْأَدَبِ ، عَلَيْهِ أَفْخَرُ

الْبُيَاطِ ، فَحَيَّانِي وَقَدَّمَ لِي مِئْدِيلًا فِيهِهِ عَيْنَةٌ مِنَ السَّمْسِمِ ،

وَقَالَ لِي : كَمْ يُسَاوِي الْأَرْدَبُ مِنْ هَذَا السَّمْسِمِ الْمَقْشُورِ ؟

فَقُلْتُ لَهُ : حِوَالِي مِائَةِ دِرْهَمٍ ..

فَقَالَ لِي : عِنْدِي كَمِّيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ هَذَا السَّمْسِمِ ، وَأُرِيدُ أَنْ

تَبِيعَهَا لِي ، فَخُذْ هَذِهِ الْعَيْنَةَ ، وَثَرِّبْهَا عَلَى التَّجَارِ ، ثُمَّ أَحْضِرْ

الْحُمَّالِينَ وَالْكَيْيَالِينَ ، وَتَوَجَّهْ إِلَى (خَانِ الْجَوَالِي) فِي (بَابِ

النَّصْرِ) تَجِدْنِي هُنَاكَ ..

وَتَرَكْتُ لِي عَيْنَةَ السَّمْسِمِ وَأَنْصَرَفْتُ ، فَذَرْتُ بِهَا عَلَى التَّجَارِ ،



فَبَلَغَ ثَمَنُ الْأَرْدَبِ مِائَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا ، فَاخَذَتْ الْكَيْتَالَيْنِ
وَالْحَمَالَيْنِ وَتَوَجَّهَتْ إِلَى (بَابِ النُّحْصِرِ) فَوَجَدَتْ ذَلِكَ الشَّابَّ فِي
الْبُتْطَارِي ، فَقَامَ إِلَى الْمَخْرَنِ فَفَتَحَهُ ، وَكَيْلْنَا مَا فِيهِ مِنْ سَمْسَمٍ ،
فَوَجَدْنَاهُ خَمْسِينَ أَرْدَبًا ، فَقَالَ لِي الشَّابُّ : بَعْ هَذَا السَّمْسَمَ ، وَأَقْبِضْ
ثَمَنَهُ ، فَاحْتَفِظْ بِهِ ، وَلَكَ فِي كُلِّ أَرْدَبٍ عِشْرَةُ دِرَاهِمٍ سَمْسَرَةٍ ..
اِحْتَفِظْ بِالثَّمَنِ عِنْدَكَ ، حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ فَاخْذَهُ مِنْكَ ..

فَقُلْتُ لَهُ : لَكَ مَا تَشَاءُ يَا سَيِّدِي ..

وهكذا غابَ عَنِّي ذلك الشابُّ شهراً ، كُنْتُ قد تَمَكَّنْتُ خِلَالَهُ مِنْ
بَيْعِ السَّمْسَمِ ، فلما جاعني حاولْتُ إعْطَاءَهُ ثَمَنَهُ ، فقال لي :

وَلِمَ الْعَجَلَةُ ؟ احْتَفِظْ بِهِ عِنْدَكَ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ ..

وهكذا غابَ عَنِّي شهراً آخرَ ثم جاعني وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ فَاحِرَةٌ ،
فَقَمْتُ وَأَحْضَرْتُ لَهُ الدَّرَاهِمَ وَعَدَدْتُهَا لَهُ دِرْهَمًا دِرْهَمًا بِالتَّمَامِ
وَالْكَمَالِ ، فَأَخَذَهَا وَشَكَرَنِي عَلَى أَمَانَتِي ، ثُمَّ أَخَذَ الْكَيَاسَ الدَّرَاهِمَ
بِيَدِهِ الشَّمَالِ ، وَهَمَّ بِالْأَنْصِرَافِ ، فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَغَدَّى مَعِيَ ،
فَوَافَقَ إِكْرَامًا لَخَاطِرِي ، لَكِنِّي لَاحِظْتُ فِي أَثْنَاءِ الطَّعَامِ أَنَّهُ يَأْكُلُ
بِيَدِهِ الشَّمَالِ ، وَأَنَّ يَدَهُ الْيُمْنَى مَدْسُوسَةٌ فِي جَيْبِ جُلْبَابِهِ طَوَالَ
الْوَقْتِ ، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهُ :

- لِمَ أَكَلْتَ بِيَدِكَ الشَّمَالِ يَا سَيِّدِي ، هَلْ فِي يَدِكَ الْيُمْنَى شَيْءٌ

يُؤْلِكُ ؟

فَبَانَ الْإِلْمُ فِي وَجْهِهِ ، وَزَقَرَ زَقْرَةً حَارَةً تَغْبِرُ عَنْ أَلَمِهِ الدَّاخِلِيِّ

وَقَالَ :

- إِنَّ لَذَلِكَ قِصَّةً طَوِيلَةً ، سَوْفَ أُحَاوِلُ أَنْ أُوجِزَهَا لَكَ . وَأَخْرَجَ



يدِهِ الْيُمْنَى مِنْ جَنْبِهِ ، فَإِذَا هِيَ مَقْطُوعَةُ الْكَفِّ ..

فَتَأَمَّلْتُ مِنْ أَجَلِهِ ، وَوَأَصَلَ هُوَ حَدِيثُهُ قَائِلًا :

- إِنَّ وَرَاءَ قِطْعِ يَدِي هَذِهِ قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ .. لَقَدْ كُنْتُ تَاجِرَ قُمَاشٍ مِنْ

بَغْدَادَ ، وَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ رَوَاجِ التِّجَارَةِ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ ، فَاشْتَرَيْتُ

أَقْمِشَةً فَاخِرَةً كَثِيرَةً ، وَجِئْتُ بِهَا إِلَى مَصْرَ ، وَنَزَلْتُ بِأَقْمِشَتِي

الْثَمِينَةِ فِي (خَانِ مَسْرُورٍ) لَكِنْ بَضَاعَتِي لَمْ تَأْتِ بِالثَّمَنِ الَّذِي

اسْتَرَيْتُهَا بِهِ مِنْ بَغْدَادَ ، بِدُونِ رَيْحٍ ، وَبِدُونِ أَجْرَةِ السَّفَرِ ،

وأَجَرَ الْعِلْمَانِ الَّذِينَ رَافَقُونِي فِي الرَّحْلَةِ ، فَاعْتَمَمْتُ لَذَلِكَ غَمًّا
شَدِيدًا ، وَبِتُّ لَيْلَتِي مَهْمُومًا لِهَذِهِ الرَّحْلَةِ الْفَاشِلَةِ .. وَفِي الْيَوْمِ
التَّالِي جَاعَنِي شَيْخُ الدَّلَالَيْنِ وَعَرَضَ عَلَيَّ أَنْ أُبِيعَ بِضَاعَتِي لِأَحَدِ
التَّجَارِ ، عَلَى أَنْ أَتَقَاضَى ثَمَنُهَا مُوجَلًا مَعَ رِبْحٍ مَعْقُولٍ ، بِدَلِّ
الْعُودَةِ بِهَا إِلَى بَغْدَادَ ، وَعَلَى أَنْ أَقْبِضَ كُلَّ يَوْمٍ خَمِيسٍ جِزَاءً مِنْ
الثَّمَنِ ، فَوَافَقْتُهُ ، وَبِعْتُ بِضَاعَتِي إِلَى تَاجِرٍ مَشْهُورٍ ، وَكَتَبْنَا
صَكَّ الدَّيْنِ بِذَلِكَ ..

وَهَكَذَا أَقَمْتُ فِي مِصْرَ ، وَأَخَذْتُ كُلَّ يَوْمٍ خَمِيسٍ أَتَرَدُّ عَلَى ذَلِكَ
التَّاجِرِ ، فَأَقْبِضُ الْمَبْلَغَ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهِ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ ذَلِكَ التَّاجِرِ ، فَجَاعَتْ سَيِّدَةُ إِلَى
الدَّكَانِ ، لِتَشْتَرِيَ قِطْعَةً حَرِيرٍ مِنَ الْمَنْسُوجِ بِخَيْوِطِ الذَّهَبِ ،
فَعَرَضَ عَلَيْهَا قِطْعَةً مِنَ الْقُمَاشِ الَّتِي بَعَثَهُ إِيَّاهُ ، قَدَّرَ التَّاجِرُ
ثَمَنَهَا بِأَلْفِ بَرْهَمٍ ، فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ : سَاخِذُ الْقُمَاشِ ، ثُمَّ أَرْسَلَتْ لَكَ
ثَمَنَهُ مَعَ خَادِمَتِي ..

فَرَفَضَ التَّاجِرُ - بِرَغْمِ أَنْ السَّيِّدَةَ كَانَتْ تَبْدُو عَلَيْهَا مَظَاهِيرُ الثَّرَاءِ -



وهم بأن يأخذ القماش منها ، وقال لها إنه يحتاج
إلى الثمن ، حتى يكمل نقودي .. وهمت السيدة بأن تنصرف ،
فقلت للتاجر : أعطها القماش ، واخصم الألف درهم من ديني عندك ،
وقلت للسيدة : خذي القماش ، وإن شئت فأحضري ثمنه في
السوق القادم ، وإن شئت فهو هدية متواضعة مني .. فشكرتني
وأنصرفت ، بعد أن قالت : لا بد أن نرد لك هذا التكرم بمثل
وبأحسن منه يا سيدي ..

وسكت التاجر الشاب ، ثم واصل حديثه قائلاً :

- ومن عجائب المقارقات أن هذه السيدة الكريمة قد صارت زوجتي .. واكتشفت أنها ثرية أكثر مما كنت أتصور ، لكنني أقسم لك إنني لم أتزوجها من أجل مالها ، والدليل على ذلك أنني اشترطت عليها قبل زواجنا أن أقوم أنا بالإنفاق عليها وعلى البيت وعلى خدمها ..

وهكذا صرت كلما حصلت مبلغاً من ثمن تجارتي صرخته في مبدل ، وقدمته لها ..

واستمر الحال على ذلك عدة أشهر ، حتى تقاضيت آخر درهم من ثمن تجارتي ، ولم يعد لي دخل أنفق منه على زوجتي - كما اشترطت عليها - لكنني لم أبح لها بذلك ، وهنا وقعت الكارثة التي كانت السبب في قطع يدي ..

فقال التاجر :

- وكيف كان ذلك يا سيدي ؟

فسالت دموع الشاب التاجر على خدم وقال :



.. بعد أن نفدت بقوذي ، ولم أعد أملك درهما .

هانت على نفسي ، وصارت ذليلة بعد أن كانت عزيزة ،

فرحت أسير في الشوارع ، وأنا أفكر في حيلة أغثر بها على

الدراهم ، حتى لا ينكشف فقرى وإفلاسى أمام زوجتى . وعندما

وصلت إلى باب زويلة رايت رجاءاً شديداً ، فدخلت بين الناس

مستطلعاً ما يحدث . ومن سوء حظي اصطدمت بجندى وسط

الرجام ، واصطدمت يدي بجيبه ، فتحسنته ، فوجدت بداخله

صُرَّةٌ فِيهَا بَقُودٌ ، فَمَدَدْتُ يَدِي وَجَذَبْتُهَا ، بَعْدَ أَنْ سَوَّلْتُ لِي
نَفْسِي الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ سَرَقَتَهَا ، وَاخْتَعَيْتُهَا بِسُرْعَةٍ فِي جَيْبِي ،
وَفِي اللَّحْظَةِ الَّتِي هَمَمْتُ فِيهَا بِالْإِنْصِرَافِ شَعَرَ الْجُنْدِيُّ بِضَيَاعِ
نُقُودِهِ ، فَأَمْسَكَ بِي ، وَضَرَبَنِي بِرُمُوحِهِ عَلَى رَأْسِي وَهُوَ يَصِيحُ :
الْأَصْرُ . الْأَصْرُ .. فَسَقَطْتُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَمْسَكَ النَّاسُ بِي ،
وَاخَذَنِي الْجُنْدِيُّ إِلَى الْقَاضِي وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ سَرَقَ هَذَا الشَّابُّ مِنْ
جَيْبِي كَيْسًا بِهِ عَشْرُونَ دِينَارًا فَقَالَ الْقَاضِي : هَلْ مَعَكَ شَاهِدٌ
رَأَاهُ وَهُوَ يَسْرِقُ مِنْكَ الْعَشْرِينَ دِينَارًا ؟ فَقَالَ الْجُنْدِيُّ لَا ، وَلَكِنْ
فَتَّنْتُهِ حَتَّى تَتَأَكَّدَ مِنْ صِدْقِ كَلَامِي

فَأَمَرَ الْقَاضِي بِتَفْتِيْشِي ، وَاخْرَجُوا الْكَيْسَ وَبِهِ الْعَشْرُونَ
دِينَارًا مِنْ جَيْبِي .. وَلَمَّا سَأَلَنِي الْقَاضِي عَمَّا إِذَا كُنْتُ قَدْ سَرَقْتُهَا
مِنَ الْجُنْدِيِّ ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَنْكَرَ .. وَهَكَذَا أَمَرَ الْقَاضِي بِقَطْعِ
يَدِي .. وَهَكَذَا حَدَثَ مَا حَدَثَ ..

وَأَشْفَقَ عَلَيَّ الْجُنْدِيُّ ، فَقَالَ لِي : أَنْتَ شَابٌّ مَلِيحٌ ، وَلَا يَجِبُ أَنْ
تَكُونَ لَيْصًا .. ثُمَّ أَعْطَانِي الْعَشْرِينَ دِينَارًا وَانْصَرَفَ .



فغِيثُ عَنْ الْبَيْتِ عِدَّةَ أَيَّامٍ حَتَّى ضَمَدْتُ جُرْحَ يَدِي ،
وَلَفَقْتُهَا فِي قَمَاشٍ ، ثُمَّ أَدْخَلْتُهَا فِي جَيْبِي ، وَعُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ
شَاوِبَ الْوَجْهِ ضَعِيفًا ، وَمَا إِنِّي بِخَلْتُ غُرْفَتِي ، حَتَّى أَلْقَيْتُ بِنَفْسِي
عَلَى الْفِرَاشِ فِي إِغْيَاءٍ ..

وَلَا حِظَّتْ زَوْجَتِي ذَلِكَ ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ سِرِّ تَغِيْبِي عَنْ الْبَيْتِ ، وَعَنْ
سَبَبِ ضَعْفِي وَهَزَالِي ، فَقُلْتُ لَهَا إِنَّنِي مَرَضْتُ ، وَهَذَا الْآلَمُ الَّذِي
أَشْعُرُ بِهِ هُوَ مِنْ صُدَاعٍ رَهِيْبٍ أَلَمَ بِرَأْسِي ..

لكنها لم تصدق القصة الملفقة التي حكيتها لها ، وأخذت
 تبكي من أجلى ، وتستحلفنى بالله أن أصارحها بالحقيقة ..
 وعندما أحضرت لى الطعام خشيت أن أكل أمامها بيدي الشمال ،
 حتى لا تلاحظ ما حدث ليدي اليمنى .. وعندما شعرت بالعطش ،
 طلبت منها ماء ، فأحضرت لى القدح ، فتناولته منها بيدي
 الشمال وشربت ، فلما رأت ذلك علمت أن يدي اليمنى قد أصابها
 مكروه ، فأخذت تبكي من أجلى ، وترجوني أن أبوح لها بالحقيقة ..
 وهكذا بحث لها بما حدث ، وأخرجت الكيس الذى به الدنانير
 التى كانت سبباً فى قطع يدي ، وقدمته لها ، فحزنت حزناً
 شديداً ، وقالت : ليعلم أن كل النقود التى أعطيتنى إياها
 موجودة بكاملها فى الخزانة ، ولم أمس منها درهماً واحداً ،
 لأن عيى الكثير والكثير من النقود .. لقد انخرتها لك بكاملها ،
 ولو أنك صارحتنى بما حدث من نقاد نقودك ، لكنت قد أعفيتك
 مما حدث لك ..

وسكت الشاب الناجر قليلاً .. ثم واصل حكايته قائلاً :



- لقد كان ما حدث لي من قطع يدي سبباً في

حُزن زوجتي ومرضها مرضاً شديداً ، ولم تغدُ قادرة

على مغادرة الفراش ، حتى أشرقت على الموت ، فأحضرت شهوداً

وكتبت لي جميع أموالها وأصلاكها ، وأشهدتهم على ذلك .. وكان

من بين ذلك مخزن السمسم ، الذي طلبت منك أن تبيعني إياه ..

وانتهى التاجر من حكايته ، مخاطباً الملك بقوله :

- هذه هي الحكاية التي عشتها مع ذلك الشاب البائس يا مولاي ،

وهي حكاية أعجب من حكاية موت مهرجك الأحذب يا ملك
الزمان ..

فلما سمع ملك الصين كلام التاجر قال في غضب :

- هذه الحكاية ليست بأعجب من موت مهرجي الأحذب أيها
الأحمق ، ولئن لم تأتونى بحكاية أعجب منها أمرت بشنقكم
جميعاً ..

تملك الرعب الرجال الأربع المتهمين بقتل المهرج الأحذب ،
مضجك الملك ، من هذا التهديد ..

وهنا تقدم الخياط ، الذى كان سبب موت الأحذب وقال :

- لو أذن لى ملك الزمان ، حكيت له حكاية أعجب منها ..

فصرخ الملك ناهراً :

- وماذا تنتظر أيها الأحمق .. قد أنبت لك ، فاحك حكايتك ..

(يتبع)